مدار الوطن
٤٣٠

١٠ دروس
من الحج

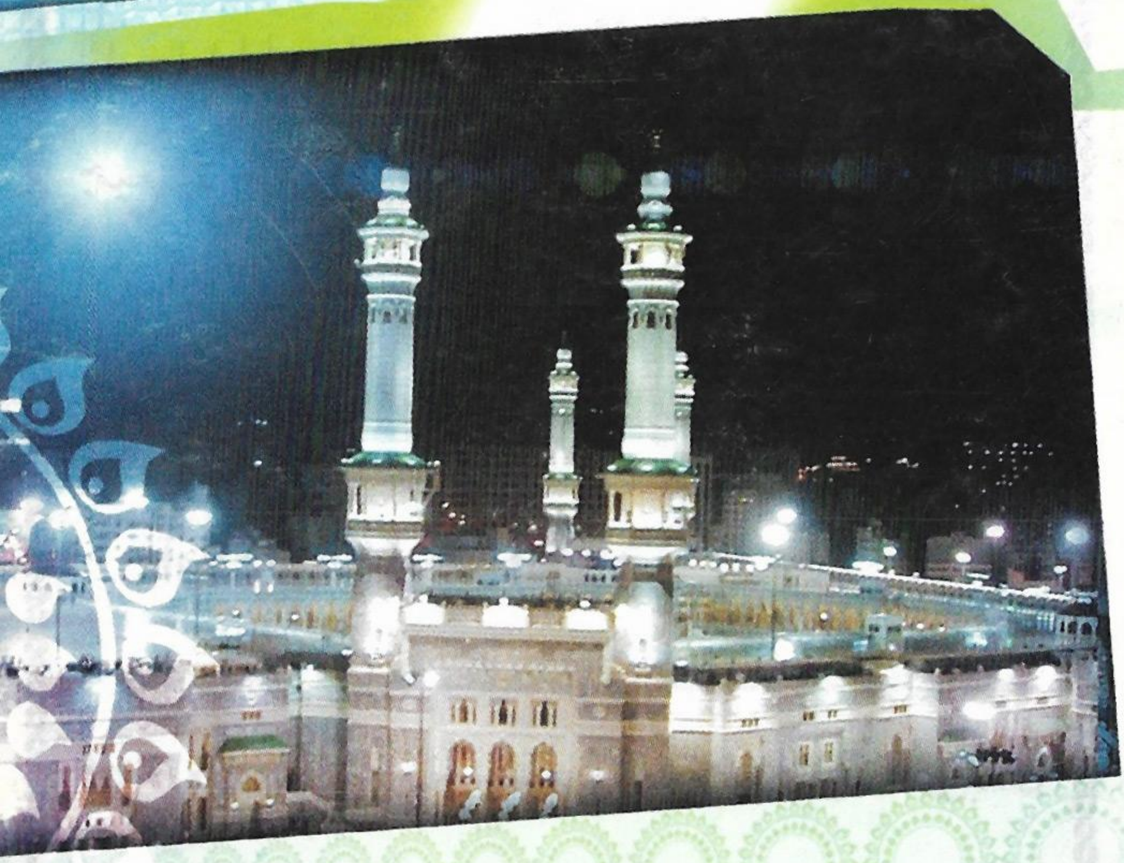

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص . ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

كثيرة هي الدروس التي يمكن للمسلم أن يتعلّمها من الحج، وعظيمة هي الفوائد التي يستطيع أن يفيدها منه، فالحج مدرسة تأديبية تعليمية إيمانية لا يتخرج منها إلا من وفّقه الله عزَّ وجلَّ لإدراك ما لهذه العبادة الجليلة من فوائد وأسرار ومنافع تتعدى آثارها الحاج نفسه، لتشمل الناس جميعًا، بل تشمل جميع الأحياء في كل بقعة من بقاع الأرض.. ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الدروس من خلال الإشارات السريعة التالية:

أولاً: الإخلاص والتواضع:

إن أولى الناس بالإخلاص والتواضع هم حجاج بيت الله الحرام: لأن الحاج يبذل ماله، ويبذل وقته، ويبذل جهده ونفسه، فإذا كان ذلك كله لغير الله ذهب كل ذلك هباءً، وقيل له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردودٌ عليك، وكذلك إذا كان متعاظمًا متكبرًا مختالاً

بنفسه كان ذلك دليلاً على عدم إخلاصه، وبالتالي عدم قبول حجه، ولذلك كان النبي ﷺ سيد المتواضعين، وكان أشد ما يكون تواضعًا في الحج – روى أنس أن النبي ﷺ حجَّ على رحلٍ رثٍّ، وقطيفة ما تساوي أربعة دراهم وقال: **"اللهم اجعلها حجة لا رياء فيها ولا سمعة"** [رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه وصححه الألباني].

ثانيًا: متابعة الحبيب ﷺ:

ينبغي على جميع الحجاج أن يحجوا كما حجَّ المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، فهو القدوة الطيبة، وهو الأسوة الحسنة، وهو الدليل على محبة العبد لربه تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: "لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" [رواه مسلم] وصدق رسول الله ﷺ، فإنه لم يحج بعدها، فالسعيد من حجّ على سنته، والخاسر من حجّ وفقًا للأهواء والبدع، فإن مثل هذا الحج لا يكون مبرورًا أبدًا، بل إن صاحبه يأثم لابتداعه في الدين ما ليس منه.

ثالثًا: الصبر:

إن الحج يعلم الناس الصبر : على طاعة الله والصبر عن معصية الله، فالحاج في يوم العيد – مثلاً – مطالب بكثير من الأعمال والطاعات، منها: رمي جمرة العقبة، والحلق، والذبح، والطواف والسعي، إضافة إلى ما عليه من أداء الصلوات في مواقيتها وغير ذلك من واجبات المسلم، كل ذلك ينبغي أن يفعله في يوم واحد، ووسط زحام شديد لا يعلم أعداد البشر فيه إلا خالقهم سبحانه وتعالى، ومع ذلك يصبر الحاج على تلك الطاعات ويؤديها بسعة صدر وانشراح قلب وطيب خاطر. وكذلك فإن الحاج يحظر عليه كثير من الأمور التي كانت مباحة له قبل إحرامه، فتكون زوجته بجواره ولا يستطيع أن يمسها، بل لا يستطيع أن يضع طيبًا أو يحلق شعرًا أو يلبس ملابسه العادية لأن ذلك كله من محظورات الإحرام، وقد علمه الحج أن يصبر عن معصية الله عزَّ وجلَّ طلبًا لرضاه، ورغبة في الأجر والثواب العظيم:

"من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم

ولدته أمه" [متفق عليه].

رابعًا: المساواة:

من أعظم دروس الحج: درس المساواة بين الناس في الإسلام، فإنك لا تكاد تفرق في الحج بين غني وفقير، أو بين شريف ووضيع، أو بين رئيس ومرؤوس، فالجميع في هذا الموقف سواء، يرفعون أكفَّ الضراعة، ويسألون الله العفو والغفران، ويلبسون لباسًا واحدًا لا يتميز به أحدهم عن الآخر، وينامون جميعًا في الخيام، ويطوفون معًا، ويسعون معًا، ويرمون الجمرات معًا، ويبيتون في عرفة ومزدلفة معًا، فلا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

خامسًا: الوحدة الإسلامية:

في الحج تظهر قوة هذه الأمة ووحدتها، ويتذكر المرء قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فإنك تجد أصنافًا شتى من البشر، وألوانًا مختلفة، ولغات متعددة، وتتساءل في نفسك: ما الذي جمع هؤلاء في هذا المكان، ثم تجد الجواب في قوله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧ – ٢٨].

ونتساءل أيضًا : ما هو الرابط الذي يربط بين هؤلاء البشر جميعًا، على الرغم من تلك الاختلافات الظاهرة في اللغة واللون والشكل والعادات.. فلا تجد من رابط يربط بين هؤلاء سوى الوحدة الإسلامية التي احتوت تلك الأجناس والطبائع قديمًا، وصهرتها في بوتقة الإسلام، فأنشأت تلك الأجناس المختلفة حضارة رائعة ما زالت آثارها تشهد بروعتها وشموخها إلى يومنا هذا، وهي الحضارة الإسلامية.

وما تفرق المسلمون وانفرط عقد وحدتهم

وظهرت تلك الاختلافات بين الأجناس والشعوب الإسلامية، مما أصبح يهدد كيان الأمة ويفرقها إلى دويلات صغيرة؛ إلا بعد أن تخلى المسلمون عن دينهم، وحكموا بالقوانين الوضعية التي لا تضمن حقوق الناس ولا مساواة بعضهم ببعض، فأصبح كل جنس وكل طائفة تطالب بحقوقها بعيدًا عن النظر إلى وحدة الأمة وتربص الأعداء بها.

سادسًا: البذل والعطاء:

إن الحج المبرور لا يتحقق إلا ببذل المال المحبوب لمن يحبُّ الله تعالى إيتاءه. ولهذا لما قال النبي ﷺ: **"الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"** قيل: يا رسول الله وما برّه؟ قال: **"إطعام الطعام، وطيب الكلام"** [رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني].

وسئل سعيد بن جبير: أيُّ الحاج أفضل؟ قال: من أطعم الطعام وكفَّ لسانه. قال الثوري: سمعت أنه من برِّ الحج.

وفي مسند الإمام أحمد عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"النفقة في الحج، كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف"**.

سابعًا: الرحمة والشفقة:

فهذا درس من الدروس الغائبة عن كثير من الحجاج، كيف يرحم بعضنا بعضًا، وكيف يشفق بعضنا على بعض.

إن المرء ليتأذى حينما يرى التدافع والتزاحم والتضارب بين الحجاج، وكان الواجب عليهم أن يرحم بعضهم بعضًا، وأن يوسع بعضهم لبعض، وأن

يحسن بعضهم إلى بعض، وبخاصة إلى كبار السن والمرضى وأصحاب الأعذار، وقد سئل النبي ﷺ عن البر فقال: "**حسن الخلق**" [رواه مسلم].

ومعاملة الناس بالإحسان والرفق واللين مما يحتاج إليه في الحج كثيرًا، وقد أعجبني ذلك الشاب الذي وقف وسط الزحام ليأخذ قارورة من الماء المبرد، فلما وصلت إليه بعد عناء، وقد بدا عليه آثار العطش، نظر إلى يمينه فوجد شيخًا كبيرًا يريد الماء ولا يستطيع إليه سبيلاً بسبب ذلك الزحام، فما كان منه إلا أن آثر هذا الشيخ بالماء، وذهب دون أن يأخذ منه قطرة..

ثامنًا: التأني والإتقان:

إن أعمال الحج عبادات ينبغي أن تؤدى على الوجه الأكمل، ولا يكون همُّ الحاج الانتهاء من العمل بأي طريقة، فهناك شروط مثلاً في الرمي وفي حصى الرمي وفي الهدي وفي كل عمل من أعمال الحج، وهذا مما يجب على الحاج معرفته ليكون عمله متقنًا، وهذا أدعى إلى القبول لقول النبي ﷺ: "**إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**" [رواه البيهقي وحسنه الألباني].

وقد أمر النبي ﷺ بالتأني والسكينة في الحج فقال عليه السلام: **"السكينة السكينة، فإن البرَّ ليس بالإيضاع"** [رواه أحمد] أي البر ليس بالإسراع، والازدحام والتدافع.

تاسعًا: الانتصار على الشيطان:

فإن الحج يحيي المعركة بين الإنسان والشيطان، ويذكّر بتلك العداوة المستمرة بينهما، ويقوّى عزائم الحجيج على مخالفته والانتصار عليه، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي ﷺ قال: **"لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض".**

قال ابن عباس : الشيطان ترجمون، وملةَ أبيكم إبراهيم تتبعون. [رواه ابن خزيمة والحاكم وقال صحيح على شرطهما وصححه الألباني].

عاشرًا: النظام وترتيب الأولويات:

من الدروس التي نتعلمها من الحج: النظام

وترتيب الأولويات، فالحج مرتبط بنظام زماني وهو أيام الحج التي تؤدى فيها المناسك، ونظام مكاني وهي المشاعر المقدسة، وكل أفعال الحج تدل على النظام وترتيب الأولويات، فأعمال يوم الثامن غير أعمال يوم التاسع غير أعمال يوم العاشر، بل إنها تؤدى في نظام محكم دقيق بينه الله تعالى في كتابه، وطبقه النبي ﷺ في حجته. ومثال ترتيب الأولويات أن الحاج في يوم العيد يبدأ برمي جمرة العقبة، ثم يذبح هديه، ثم يحلق أو يقصر، وبذلك يتحلل التحلل الأول، ثم ينزل إلى مكة ويطوف طواف الإفاضة ويسعى إذا كان عليه سعي، فهذا الترتيب أفضل، ومن رحمة الله عزَّ وجلَّ، أنه لم يجعل هذا الترتيب حتمًا لازمًا، فإذا قدم الحاج بعض هذه الأعمال على بعض فلا حرج.